

صباحة: الرب العربي

## ٢ - ديوان حافظ إبراهيم للدكتور زكي مبارك

مواصلة طرابلس - مواصلة بيروت - آمال مصرية

مواصلة طرابلس

في شهر سبتمبر من سنة ١٩١١ أغارت إيطاليا على طرابلس - وهي يومئذ ولاية تركية - فنهض المصريون لمعاونة طرابلس بالطلب والشعر والمال والرجال ، فضى إلى الميدان أطباء مصريون لمعالجة الجرحى الطرابلسيين ، منهم الدكتور حافظ عفيفي وسيد شكرى ونصر فريد ؛ ومضى إلى الميدان مجاهدون مصريون أشهرهم عزيز باشا المصرى ، ومحمد بك القناشى ؛ وجمعت أموال كثيرة لتموين الجيش الطرابلسى . وبفضل تلك الحرب أنشئت

موهوبين أو وسطاء ، وهو ما لا يعقل ... »

ثم جاء فيه : « كل مقال الأستاذ العقاد منصب على إثبات وجود التلباني بأدلة منطقية قياسية ، وقد فرغ العلماء من إثباته منذ ٨٥ سنة ، وتدرس هذه العلوم كدراسات عليا في جامعات إنجلترا الكبرى . ومحاولة الأستاذ إثباتها كمن يحاول إثبات وجود أشعة إكس بالاستنتاج الخ »

أما أن مقال منصب على إثبات وجود التلباني فغير صحيح ، لأننى لم أتجاوز تخطيطه الذين يجزمون بنفيه . وقلت : « يجوز أن يأتى غداً من يثبت - هذه الملكة - ثبوتاً قاطعاً لا شك فيه ، ويجوز أن يأتى غداً من ينفيها نفياً قاطعاً لا شك فيه . » وأما أن وجود التلباني ثابت كوجود أشعة إكس فذلك قول يدعيه المدعى وعليه إثباته . وقد نقنع منه بتقرير ثلاثة من المشتغلين بالعلم عندنا يؤيدونه فيما قال . وأول ما يقتضيه هذا رأى أنه يبطل القول بالملكة النفسية ويجعلها خاصة من الخواص التي

جمعية الهلال الأحمر لمصرى ، وكان لقلم الشيخ عل يوسف تأثير فى إنشاء تلك الجمعية ، وهى لا تزال من كبريات جمعياتنا الخيرية .

وانطلق الشراء فقالوا فى تشجيع الطرابلسيين وتحذيل الإيطاليين عشرات القصائد الجياد

فى تلك الحرب قال حافظ قصيدته الميمية :

طمع ألقى عن الغرب اللثاماً فاستفق يشرق واحذر أن تناماً  
وفىها قال عبد المطلب قصيدته البائية :

بنى أمنا ، أين الجيش المدرّبُ وأين العوالى والحسام المدرّب  
و « بنو أمنا » فى قصيدة عبد المطلب هم الأتراك ، وكانوا كذلك بحكم الأخوة الإسلامية ، وهو معنى فسره شوق أحسن تفسير حين قال فى التوجع لسقوط « أدرة » فى الحرب البلقانية :

مقدونيا - والمسلمون عشيرة - كيف أختولة فيك والأعمام  
وبمناسبة قصيدة عبد المطلب أذكر أنه قال فى التمهيد إن

تشكر فى كل جسم وفى كل معمل من معامل الطبيعة ، وهذا

كلام لا يقره النسيون ولا الطبيعيون ولا المنطقيون

وأما ما قاله صاحب الاستدراك عن سماع الأصوات على البعد فما زاد فيه على ما رأيناه حيث قلنا فى مقالنا السابق : « إن التفاء نفسين أيسر قبولاً من التفاء نفس واحدة من جانب وألوف النفوس من جانب آخر »

أو حيث قلنا : « إن انتقال الصوت المادى مئات الأميال يقتضى أن يكون صوت سارية قد سمع فى الجيش الذى معه وهو يستنثى وقد سمع فى المسجد الذى كان عمر يخطب فيه ، وقد سمع الصوتان : صوت الاستغاثة وصوت الاستجابة على طول الطريق ، ولم يذكر لنا رواية القصة شيئاً من ذلك »

هذا ما نجيب به عن استدراك الاستدراك ولا نجيب عن غيره من كلامه الذى لا نرى فيه ما يناقش أو يجاب .

عباس محمد العقاد

نفسه جاشت حزناً حين لاحظ أن القوة المدافعة من الطرابلسيين وأن الأتراك لم يكونوا إلا مديرين

وقد فكرت في مراجعة الجرائد المصرية لذلك العهد عسائي أعرف السبب في تخلف الجيش التركي عن معاونة الجيش الطرابلسي ، ثم اتفق أن لقيت الأستاذ عبد الرحمن بك عزام في قصر الزعفران يوم مضيت للتسليم على حضرة صاحب السمو الأمير عبد الإله ، فسألته عن سبب ذلك التخلف ، فأفهمني أن إنجلترا اعترضت على مرور الجيش التركي بالأرض المصرية بحجة أن مصر على الحياد ، فلم تستطع تركيا إيجاد طرابلس بغير القواد من أمثال أنور وفتحي ومصطفى كمال

كانت تلك الحرب مثاراً لحركة فكرية وأدبية ، فيها اختصم المصريون حول الموجب لمعاونة الأمم الإسلامية ، وكان ذلك الاختصاص بمناسبة مقالة نشرها لطفى باشا السيد عن الأموال التي تجمع لمواساة الجرحى من المجاهدين المسلمين . فقد أعلن أن الأفضل أن تجمع تلك الأموال باسم الإنسانية لا باسم الدين ، فثار الجدل هنا وهناك ، لأن مثل هذا الرأي في ذلك الوقت كان يشير الجدال

وفي غمرة الكروب التي أثارها تلك الحرب أعلن الشام أنه يريد الاستقلال ، بتوجيهات خفية من خصوم الأتراك ، فثار الجرائد المصرية وعدت ذلك تأييداً لعدوان الطليان

### نكبة بيروت

ولم تنتظر إيطاليا حتى تنجح الدسائس الخفية في تحريض البلاد الشامية على الدول التركية ، فأرسلت أسطولها لضرب ميناء بيروت بالدافع الثقيل ، انتقاماً من الأتراك ، والأمن يؤذى نفسه من حيث لا يريد

كان من السهل في تلك الأيام أن يعيل نصارى لبنان إلى تأييد الطليان — فقد كانت بينهم وبين الأتراك عداوات — ولكن ضرب بيروت بدافع الأسطول الإيطالي أغضبت نصارى لبنان وملأت قلوبهم بالغليظ فغلبوها بما يملكون من أسلحة المهجاء في الجرائد والمجلات

وفي تلك النكبة نار الشعراء المصريون على الطليان ، ناروا انتصاراً للأتراك وانتصاراً لأهل لبنان

وفي نكبة بيروت نظم شوقي قصيده الرائع :  
يا ربّ أمرُك في الملك نافذٌ

والحكم حكمك في الدم السفوك  
إن شئت أهرقه وإن شئت أحمه

هو لم يكن لسواك بالملوك  
واحكم بعدك إن عدلك لم يكن بالمعزى فيه ولا الشكوك  
الأجل آجال دنت وتهيأت قدّرت خرب الشاطي المتروك  
بيروت مات الأسد حتف أنوفهم

لم يشهروا سيفاً ولم يحموك  
كلّ يصيد الليث وهو مقيدٌ وبمزئيد الضيفم الفكوك  
يا مضرب الخيم النفية للقرى

ما أنصف العُجم الألى ضربوك  
ما كنت يوماً للقنابل موضعاً ولو أنها من عسجد مسبوك  
بيروت ياراح الزيل وأنسه يغضى الزمان على لا أسلوك  
الحسن لفظ في المدائن كلها ووجدته لفظاً ومعنى فيك  
وفي نكبة بيروت نظم حافظ « رواية تمثيلية » جديرة بالإعجاب ، وفيها أدار الحوار بين جريح من أهل بيروت وزوجة له اسمها « ليلى » وطبيب ورجل بدوى

وترجع أهمية هذه المنظومة إلى ما اشتملت عليه من الصدق في تصوير العاطفة الإنسانية ، العاطفة التي تجمع بين قسوة الرجولة ورقة الوجدان ؛ فالجريح فتى لبنانى عجز عن مقاومة النار بالنار ، فما كان لبلده أسطول يقاوم به أسطول الطليان ، ولا أتاحت له فرصة يلتقي فيها سيفاً لسيف مع أحد جنود الأعداء ، وإنما يرى وهو عاجز عن أن يرى ، فهو وقيد الاغتيال . وفي تلك المحنة يتذكر مهد غرامه وهو بيروت ، بيروت التي جمعت بينه وبين ليلاه في فجر الشباب

ولترك حافظاً بصور آلام هذا الجريح بشعره الرقيق :  
ليسلاى ما أنا حىُّ رُجى ولا أنا ميتُ

وصور استخفاف الإيطاليين بالمعاهدات وبالدين فقال :

أحرقوا الدور ، استحلوا كل ما

حرمت « لاهاي » في العهد احتراماً

بارك المطران في أعمالهم فسكوه : بارك القوم علماً

أهكذا جاءهم إنجيلهم

آمرأً يلقي على الأرض السلام

كشفوا عن نية الغرب لنا

وجلّوا عن أفق الشرق الظلام

فقرأناها سطوراً من دم أقسمت تلهم الشرق الهما

وخلصة القول أن حافظاً صور عواطف المصريين في الثورة

على الأمة الباغية التي عدت على إحدى البقاع الإسلامية ،

بحيث استطاع أن يسبق شوقي في هذا الميدان

### آمال مصرية

وهناك تاريخ مجهول هو تاريخ جهاد المصريين لتحرير

طرابلس من نير الطليان في أعوام الحرب الماضية ، وذلك

الجهاد يرجع إلى نزع أسيلة هي شوق مصر إلى التلاق مع جميع

الولايات التي تشرف على شواطئ البحر الأحمر وشواطئ

البحر الأبيض ، فقد كانت مصر في أكثر عهود التاريخ

متصلة بتلك البلاد اتصال وداود وإخاء ، وبلادنا كانت الملتقى

لآمال الرجال في تلك البلاد ، فأكبر الأغنياء من اليمن والحجاز

وفلسطين والشام ولبنان ولوبيا والجزائر وتونس ومراكش قد

انتفعوا جميعاً بمركز مصر مفتاح الشرق

وكبار الوطنيين في مصر لهم أصول في تلك البلاد ، فقد

عبد الرحمن الرافعي بأنه شامي الأصل ، وعبد العزيز

جاويش بأنه مغربي ، ونحن مع هذا نرى هذين الرجلين غاية

في شرف الوطنية المصرية

ما معنى ذلك ؟ معناه أن الوطن المصري هو الوطن الذي

ينتظم شواطئ البحر الأحمر وشواطئ البحر الأبيض ، وقد

حفظ التاريخ أن جنودنا استنزوا في المعارك التي انتهت بفتح

وها أنا قد قضيت

لما رُميت رُميت

مشي إلى مشيت

لدُسْتُهُ وبغيتُ

منازلُ ما اتقيتُ

لو بان لي لاشتفيتُ

على الحياة بكيتُ

من مصرى إن شكوتُ

بيروتَ أنى سلوتُ

فيها وفيك صَبوتُ

لمسوا وفيها جريتُ

ومن هواك انتشيتُ

وعذب فيك ارتويتُ

ولى من العز بيتُ

أوائلى وبليتُ

خبأ فها فيه زيتُ

ما من لظاهن فوت

أصبنى فتويت

ثم يعضى الحوار بين الجريح وليلاه ، ثم يتدخل البدوى

والطبيب ، فلا تنتهى المنظومة إلا بعد أن يستوفى حافظ تصوير

ذلك المشهد الحزين

ونرجع إلى القصيد الميمية فنقول :

في تلك القصيد صور حافظ عدة مشاهد ، صور ارتفاع

الطرابلسيين بالذخائر التي تركها الجيش الإيطالى عند انهزامه

بإحدى المواقع فقال :

منةً نذكرها عاماً فعاماً

ولباساً وشراباً وطعاماً

ذا كلالٍ فندا يفسرى العظاما

ورُبَّانا إنها تشقى السقاما

يُشبع الأيتام منا والأبائى

حاتمَ الطليان قد قلدنا

أنت أهديت إلينا عدةً

وسلاحاً كان في أيديكم

أكثرنا النزهة في أحيائنا

وأقيموا كل عام موسماً